مدخل إلى الدراسة الصوتية عند العرب القدماء

مبـارك حنـون

* عــرض في الأســبوع الثقافي الذي نظمه المركز الــتربوي الجهوي بفاس في النصف الثاني من شهر إبريل 1984. وقد عملت منذ هذه السنة إلى غاية 1995 على التوسع في هذا الموضوع وجعله يشمل مختــلف مظاهر الصوت. وسيرى هذا العمل الدور لاحقاً.

0 تمهيد

نسعى ، في هذا المبحث إلى تقديم تصور عن بناء النظرية الصوتية عند العرب . وهو تصور نريده شاملاً غير تجزيئي على نقيض تلك التصورات التي سادت وقدمت للقارىء العربي معرفة غير دقيقة ولا علمية عن مساهمة العرب في بناء النظرية الصوتية الخاصة والعامة. ونذكر في هذا الباب تلك الدراسات التي أنجزها مستشرقون[1]. والتي اقتصرت على تقديم ما أتى به النحاة . أما دراسات العرب المحدثين فقد قدمت بدورها صورة لا ترقى إلى الواقع المعرفي الغني الذي عرفه العرب القدماء .

وقد أفضى بنا هذا المسعى إلى عرض مختلف مصادر الدراسة الصوتية وأسباب تعددها بما يعنيه ذلك من كشف عن مختلف الأنساق الفكرية والمعرفية التي تولدت عنها هذه الدراسة . كما أفضى بنا ذلك إلى عرض لبعض المفاهيم التي تبلورت داخل تلك الأنساق سعياً منا إلى أمرين اثنين : أولهما بسط موضوعي تأريخي للإنتاج المعرفي ؛ وثانيهما جعل هذا الإنتاج المعرفي القديم متناغماً مع المعرفة الصوتية الحديثة .

لقد بات من المعروف أن اللسانيات حينما تأسست ، كعلم

مستقل ، بل ولكي تتأسس ، كان روادها الأوائل قد دعوا إلى ضرورة فرز العنصر الموحد والمصنف للظاهرة اللغوية لأنها ككل متنافرة وغير قابلة للتناول من قبل علم واحد . بل إنها توزع على عدة علوم . لذا دعا سوسير[2] إلى فرز اللسان وتحديده موضوعاً للسانيات في حين اعتبر الكلام ثانوياً ومتعدداً بتعدد الأفراد ، ولهذا السبب أبعده من مجال اللسانيات . وفي هذا التحديد تأسيس لاستقلالية الموضوع واستقلالية المنهج . ويضمر هذا التأسيس وهذا التحديد انتقاداً " للعلم " الذي تأسس حول الوقائع اللغوية المتنافرة، بل للعلوم التي تناول كل منها مظهراً من مظاهر هذه الظاهرة .

ضمن هذا التحديد الجديد والأفق الإبيستيمولوجي الحديث الذي بلوره علماء إبيستيمولوجيا اللسانيات (أذكر على سبيل المثال لا الحصر سيلفان أورو)[3]، سنتناول الأصوات عند العرب القدماء مستحضرين في حدود الإمكان العلوم التي تطرقت إليها محاولين القيام بعمل تركيبي قوامه تنظيم هذا العطاء المعرفي وجعله راهني المفعولية في لسانياتنا العربية الناشئة . وهكذا سنتعرض في القسم (1) للعلوم العربية التي عنيت بدراسة الظاهرة الصوتية ؛ لنتناول في القسم (2) صلات الأصوات بعلم الموسيقى والطبيعيات والتشريح ، ولنعرض ، بعد ذلك ، في القسم (3) للتحديد الفيزيائي للصوت . أما في القسم (4) فسننتقل من الصوت العام إلى الصوت الخاص أي الحرف وتحديده عند العرب القدماء ليتاح لنا إمكان التطرق للحرف ضمن الآلة المصوتة القسم (5). ونعتقد أن العرب لم يفتهم أن يعرضوا لما سمي في اللسانيات البنيوية باقتصادية النسق اللغوي

بالمقارنـــة مع باقي الأنساق (القسم 6). كما نعرض لعلاقة الصوت بـــالمعنى (القســـم 7). ومن شأن ذلك أن يدفعنا إلى معالجة المخارج والصـــفات وتوظيـــف ذلك للتمييز بين الحروف (القسم 8). ولأن الأصوات اللغوية عادة ما تنقسم إلى نوعين رئيسيين ، فقد عمدنا إلى تقديم تحديد العرب للصامت والمصوت (القسم 9). وفي القسم (10) نعـــرض تصور العرب للحرف الأصل والحرف الفرع . ونختم هذا البحث بخلاصاتنا المناسبة .

1- العلوم العربية ودراسة الأصوات :

بـــدءاً ، يـــنطرح سؤال جوهري مفاده مَن تناول الظاهرة الصوتية بالدرس ؟ ولأية غاية ؟ وبأية نظرية ؟ سينتهي الدارس إلى أن الظاهرة الصوتية قد تناولها كل من الفيلسوف والبلاغي والناقد وعالم الكلام والنحوي وعالم التجويد كل من زاوية نظره ومن الموقع الذي يخدم فيه العلم الذي يهتم بوضعه أو تأصيله أو الإسهام في توضيح ما غمـــض منه . وعليه ، فالدرس الصوتي العربي مفتوح على العديد من العلوم وموزع بينها ، الشيء الذي نتج عنه تفتيت للظاهرة الصوتية وإلحاق كل عنصر منها بعلم من العلوم المذكورة أعلاه .

وهكـــذا سيدرس الفيلسوف والموسيقي الأصوات من وجهة نظـــر فيـــزيائية بالدرجـــة الأولى ، والنحوي من وجهة تأليف هذه الأصوات وبالتالي تأثيرها في بعضها البعض (الإدغام)، وعالم التجويد مـــن وجهة تحقيق نطق سليم وقراءة معيارية للنص القرآني ، والناقد والـــبلاغي مـــن وجهة تنافر وتلاؤم الحروف المؤلفة ومن ثمة أدوات تحقيـــق نصوص أدبية ذات جرس موسيقي ، وعالم الكلام من وجهة

نفـــي أو إثـــبات ... وقد انتبه القدماء إلى ذلك حينما أشاروا إلى ما يشـــبه توزيـــع الأدوار بينهم في معالجة الظاهرة الصوتية . وفي هذا السياق ، قال ابن سنان الخفاجي :" وذلك أن المتكلمين وإن صنفوا في الأصـــوات وأحكامهـــا وحقيقة الكلام ما هو ؟ فلم يبينوا مخارج الحـــروف ، وانقســـام أصـــنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وأصحاب النحو وإن أحكموا بيان ذلك ، فلم يذكـــروا ما أوضحه المتكلمون الذي هو الأصل والأس ، وأهل نقد الكـــلام (= علماء البلاغة) فلم يتعرضوا لشيء من جميع ذلك ، وإن كان كلامهم كالفرع عليه "[4].

وقد فرضت زوايا النظر المختلفة هاته ، بالتأكيد ، مقاربات مختـــلفة أي مناهج مختلفة إلا أن زوايا النظر هذه ، وإن كانت تختلف من حيث الغاية والمنهج ، فهي تتقاطع وتتكامل ، والعطاءات المعرفية التي بلورتها يمكن تصنيفها إلى ما يلي :

1 دراســـة صـــوتية محضة (فونيتيكية) تدرس الصوت في ماديـــته وتحققـــه وتنقســـم إلى قســـمين : دراسة فيزيائية للصوت Acoustique ؛ ودراسة نطقية أو هجائية له Articulatoire .

2 دراسة للأصوات اللسانية في وظائفها التمييزية أي دور هاتـــه الأصوات في حمل المعنى وتبليغه ، وإذن الوقوف على الطبيعة الإختلافية للأصوات اللسانية .

2 الأصوات وصلتها ببعض العلوم :

لم يفـــت بعـــض العرب التنبيه على العلاقة الوثيقة بين علم

الأصـــوات والعلوم الطبيعية . فإذا كان فخر الدين الرازي قد علق "مباحث الأصوات والحروف "بـــ " الوقوف على علم التشريح " إذ يقول :" لا تتم دلالتها إلا عند الوقوف على علم التشريح "[5]، فإن طـــاش كـــبري زاده يقـــول : ".. ويستمد من العلم الطبيعي وعلم التشـــريح "[6]. بينما يرى ابن جني أن علم الأصوات والحروف " له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم "[7].

وهكـــذا يـــبدو جـــلياً استحالة إيجاد علم الأصوات دون الاعتماد على علم التشريح والعلم الطبيعي (= الطبيعيات) بل على بعض المبادىء الهندسية والعددية . يقول في ذلك الفارابي متحدثاً عن صـــناعة الموســـيقى :" ولما كان طريق التحليل يستعمل في تقـــديم الأقـــدم ... ، وكـــان أقـــدم ما تشتمل عليه هذه الصناعة ... هي المبادىء المأخوذة من العلم الطبيعي ، ثم بعض المبادىء الهندسية ، ثم العدديـــة [8]. ولاشـــك أن ذلـــك إشارة إلى الأبعاد الفيزيولوجية والفيزيائية والموسيقية للغة .

3 الصوت وتحديده الفيزيائي :

لم يغفـــل العـــرب الحديث عن الصوت ، بل حددوا طبيعته الفيـــزيائية . وقد تناوله بالدرس كل من الفيلسوف والموسيقي وعالم الكلام والبلاغي والناقد والنحوي وعالم التجويد . إلا أن الذي فصل فيه القول من كل هؤلاء هو الفيلسوف و/ أو الموسيقي .

فـــابن سينا يرى أن الصوت يحدث عن قلع أو قرع[9]، وأنه

تكـــون مـــع كل قرع أو قلع حركة للهواء أو ما يجري مجراه إما قليلاً قـــليلاً أو برفق ، وإما دفعة على سبيل تموج أو انجذاب بقوة[10]، وإذن فلكي يحدث الصوت لابد من حركة قوية من الهواء[11]. هذا التحديد يجعـــل ابـــن ســـينا يعتبر القرع والقلع سببي الصوت والتموج فاعلاً للصوت[12]، ويخلص من ذلك إلى اعتبار الصوت " عارضاً يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها ويكون معها فإذا انتهى التموج من الهواء.. إلى الصـــماخ .. أحس بالصوت "[13]. أما إخوان الصفاء فيعتبرون أن لكـــل صـــوت نغمة وصفية وهيئة روحانية خلاف صوت آخر ، وأن الهـــواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل صوته بهيئته وصفته ويحفظهـــا لـــئلا يختلط بعضها ببعض ، فيفسد هيئتها، إلى أن يبلغها إلى أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة[14]. أما عن كيفية حدوث أنواع الأصوات فيقولون : " إن كل جسمين تصادما برفق ولين لا تسمع لهما صـــوتاً ، لأن الهواء ينسل من بينهما قليلاً قليلاً فلا يحدث صوتاً ، وإنما يحدث الصوت من تصادم الأجسام ، متى كان صدمها بشدة وسرعة ، لأن الهـــواء عـــند ذلك يندفع مفاجأة ، ويتموج بحركته إلى الجهات الست بسرعة، فيحدث الصوت[15]. ويقولون أيضاً في الجزء الثالث من رسائلهم : " والصوت قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضـــها بعضاً، فتحدث بين ذينك الجســـمين حركة عرضية تسمى صـــوتاً "[16]. واضح أن حدوث الصـــوت يستوجب حركتين بين جسم قارع وجسم مقروع، وقوة دافعة وجسماً مقروعاً صلباً ومقاوماً وتموجاً للهواء .

هذا التحديد الفيزيائي للصوت والذي استفاض فيه الفلاسفة

والموسيقيون كثفه البلاغي والنحوي لأنهما لم يهتما به إلا كمشكل للحرف . يقول في ذلك ابن جني :" اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً "[17]، فيما يرى ابن سنان الخفاجي أن الصوت يخرج مستطيلاً ساذجاً "[18].

4 من الأصوات غير الدالة إلى الأصوات الدالة (تحديد الحرف)

ويبدو أن للأصوات وظيفة سيميولوجية . وهذه الوظيفة هي التي تجعل الإنسان يميز بين النفس والصوت والحرف . فالأصوات ، حسب إخوان الصفاء ، صنفان : حيوانية وغير حيوانية ، وغير الحيوانية أيضاً نوعان : طبيعية وآلية ، فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والآلية كصوت الطبل والبوق والأوتار . والحيوانية نوعان : منطقية وغير منطقية ، فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير (غير) الناطقة ، وأما المنطقية فهي أصوات الناس ، وهي نوعان : دالة وغير دالة . فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياح ، وبالجملة كل صوت لا هجاء له ؛ وأما الدالة فهي الكلام والأقاويل التي لها هجاء[19].

وبناء على هذا التصنيف ، فإن الصوت ، كما يقول ابن سنان الخفاجي ، " عام ولا يختص "[20]. وإذا كان عاماً ولا يختص ، فالحرف هو الصوت اللغوي . فكيف ذلك ؟ عرف ابن سينا الحرف باعتباره هيئة تعرض للصوت[21]، ومعنى الكيفية هنا ، في رأي التهانوي ، الهيئة الوضعية[22]. إن الصوت عبارة عن سلسلة من

الذبذبات الهوائية المترابطة الحلقات ، والحرف إيقاف لهذا الصوت وقطع له . إنه عارض للصوت عروض الآن للزمان والنقطة للخط[23]. لذلك يقول ابن جني : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً "[24]، ويقول أيضاً : " وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه "[25]. فالحرف إذاً هو ما يعرض للصوت فينقطع استمراره واتصاله وامتداده واستطالته . وما يعرض للصوت هو عضو من أعضاء النطق كالحلق واللسان والشفة التي تشكل حواجز وعوارض توقف زمن الهواء وتقطع منه الآن . والقطع (أو التقطيع) لا يحدث إلا بحركة ما من أعضاء النطق في موضع ما (أي نقطة قطع ما) أي مقطعاً . لذلك عرف القراء الحرف باعتباره صوتاً معتمداً على مقطع محقق وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة[26]. والمقطع هنا هو المخرج وهو عبارة عن الحيز المولد للحرف أو موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره[27]. إن المخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده[28]. إذ حيث ينقطع صوت الحرف يكون ذاك هو مخرجه . ولأن الحروف أصوات فلابد لتحققها من جسمين يتموج الهواء بتصادمهما[29].

5 الحرف والآلة المصوتة

وإذا كانت التصويتات ناتجة عن القرع ، فإن الأعضاء المقروعة بهواء النفس هي أعضاء النطق الرئيسية الثلاثة : الحلق والشفة واللسان . " والقارع أولاً هي القوة التي تسرب هواء النفس

مـــن الرئة وتجويف الحلق أولاً فأولاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنـــف وإلى ما بين الشفتين ، ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جـــزء مـــن أجـــزاء باطن الفم وإلى جزء جزء من أجزاء أصول الأســـنان وإلى الأسنان ، فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود وينقله اللسان بالهواء مـــن جـــزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كـــثيرة محدودة "[30]. بمثل هذه الطريقة يتم إحداث الصوت اللغوي الذي تعمل مختلف الأوضاع التي تتخذها الآلة المصوتة على تشكيله متميزاً مختلفاً ، إلا أن هذا الإختلاف والتمييز محدودان .

6 اقتصادية اللغة

إن الحروف علامات ، ولأنها كذلك " كانت محدودة العدد" و" لم تـــف بالدلالة على جميع ما يتفق أن يكون في ضمائرهم " لذلك اضطروا إلى تركيب بعضها إلى بعض بموالاة حرف حرف ، فتحصل في ألفـــاظ من حرفين أو حروف ، فيستعملونها علامات أيضاً لأشياء أخر "[31]. بمثل هذا الفهم يعد النسق اللغوي ، عند العرب القدماء، النسق الأكثر اقتصادية وكلفة ومردودية وفعالية من بين كل الأنساق السيميائية الأخرى ، وربما كان النسق الأكثر ضبطاً من غيره .

7 الصوت والمعنى

وإذن فأصـــل أصوات الإنسان " في الرئة هواء يصعد إلى أن يصير إلى الحلق ، فيديره اللسان على حسب مخارجه . فإن خرج على حروف مقطعة مؤلفة عرف معناه وعرف خبره . وإن خرج على غير

حـــروف لم يفهم "[32]. وماهية صوت الإنسان أنه غرض مفهوم دال عـــلى معنى[33]. معنى ذلك أن الصوت اللساني (اللغوي) الذي هو الحرف ، بخلاف الأصوات الأخرى ، مرتبط بالمعنى إذ به يعرف المعنى ويعـــرف الخـــبر ، إذ بواسطته تنقل المعارف والأفكار والتجارب ، ولذلك فوظيفته معنوية ودلالية ، وبه تتكون الكلمات أو لنقل ، مع إخوان الصفاء " بأن الكلام هو صوت بحروف مقطعة دالة على معان مفهومـــة مـــن مخارج مختلفة "[34]. بذلك يحق لنا القول بأن الحرف (الصوت اللغوي) يوظف للدلالة على غيرية تتمثل في المعاني .

8 المخارج والصفات والتمييز بين الحروف

وإذن ، فـــالكلام لا يـــتحقق إلا بالحروف المختلفة المخارج ذلك أن لكل حرف أو مجموعة حروف مخرجاً مخالفاً لمخرج الآخر أو لمخـــارج الحروف الأخرى . فبعض الحروف تتميز عن البعض الآخر بالمخـــارج المختلفة . إلا أن التمييز بين الحروف في الحقيقة " حاصل باعتـــبار اخـــتلاف الصفات وإن كان الاتحاد باعتبار الذوات "[35]. لكـــن مـــا معنى الصفة ؟ " الصفة ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والســـواد والمـــراد بها ههنا عوارض تعرض للأصوات الواقعة في الحـــروف من الجهر والرخاوة والهمس والشدة وأمثال ذلك "[36]. وإذا كـــان المخرج للحرف كالميزان تعرف به ماهيته وكميته ، وإذا كـــانت الصـــفة كـــالمحك والناقد تعرف بها هيئة الحرف وكيفيته ، فبالصـــفة تتميز بعض الحروف المشتركة في المخرج عن بعضها حال تأديته ولولا ذلك لكان الكلام بمنـــزلة أصوات البهائم التي لها مخرج

واحد وصفة واحدة فلا يفهم منها المرام[37]. إن الصفات إذاً كيفيات تعرض للحروف من إجراء النفس ونحوه ، ولهذه الصفات فائدتان حسب الشيخ محمد بن علي بن يالوشة التونسي : الأولى تمييز الحروف المشتركة في المخرج إذ لولاها لكانت الحروف المشتركة حرفاً واحداً ، والثانية تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج[38].

وبذلك فالحروف تتميز عن بعضها البعض باختلاف مقاطعها. يقول ابن جني في ذلك : " وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ألا ترى أنك تبتدىء الحرف من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فإن انتقلت عنه راجعاً منه أو متجاوزاً له ، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى الأول "[39] ويقول أيضاً : " فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم ، باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة "[40]. كما أن الحروف تتميز عن بعضها البعض في الصفات فـ " الطاء مثلاً لولا الاستعلاء والإطباق والجهر التي فيه لكان تاءً لاتفاقهما في المخرج "[41]، بل إنك إذا همست وجهرت وأطبقت وفتحت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد (المازني)، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ولصارت الظاء ذالاً ولصارت الصاد سيناً (الرماني وغيره).

وتنقسم هذه الصفات إلى قسمين : حق الحرف ومستحق الحرف . يقول ابن الجزري عن التجويد :

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقَّها

و" حق الحرف هو صفته اللازمة له من همس وجهر وشدة

ورخـــاوة وغير ذلك ومستحقه ما ينشأ عن هذه الصفات كترقيق المســـتفل وتفخيم المستعلي ويدخل في الثاني ما ينشأ من اجتماع بعض الحروف إلى بعض مما حكموا عليه بالإظهار والإدغام والإخفاء والقلب والغنة والمد والقصر وأمثال ذلك "[42]. وهكذا فالحق صفة اللزوم والمستحق صفة العروض . والمستحق إما صفة ناشئة عن صفة لازمة أو صفة يستوجبها سياق صوتي محدد .

وبمـــا أن المـــراد مـــن الكلام هو الإبلاغ والتواصل ، فإن المقصود من الاختلاف والتمييز في المخارج والصفات هو التمييز في المســـموع . ومعنى التمييز في المسموع " ليس أن يكون ما به التمييز مســـموعاً بـــل أن يحصـــل به التمييز في نفس المسموع بأن يختلف باختلافه ويتحد باتحاده "[43].

كما أشار القدماء إلى أن الأصوات تدرك مختلفة ، وأن فيها المـــتماثل المختـــلف ، وأن المختلف منها متضاد[44]، وأن عدداً من صفاتها ثنائي ، وهذه الثنائية ثنائية ضدية .

9 تحديد الصامت والمصوت

وتنقســـم الحـــروف إلى قسمين صامتة ومصوتة " فالمصوتة حـــروف المـــد واللين أي حروف العلة الساكنة التي حركةُ ما قبلها مجانسة لها . والصامتة ما سواها سواء كانت متحركة أو ساكنة ولكن ليس حركة ما قبلها من جنسها "[45]. وفي شرح ذلك وتدقيقه يقول ابـــن سينا بأن الحروف الصامتة ناتجة عن " حبسات تامة للصوت أو للهواء الفاعل للصوت تتبعها إطلاقات دفعة " ذلك أن زمان الحبس

الـــتام لا يمكن أن يُحسَّ فيه بصوت حادث عن الهواء وهو مستكن بالحبس "[46] لذلك سماها ابن سينا بـــ " التي لا تقبل المدّ البتة "[47]. أما المصـــوتات فهي من " الهيئات العـــارضة للصوت "[48]، وتتميز بقابـــلية التمديد[49]، أي أنها " توجد في النفس والهواء الذي يخترق الفـــم دون نفس اللسان واللهاة وإن كان لهما تأثير في تقطيعه"[50]. وإذا كانت الحركات أبعاض حروف المد واللين عند ابن جني ، فإنها عـــند فخـــر الدين الرازي " أبعاض المصوتات "[51] ذلك أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأن الفتحة تقـــع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف . وكذلـــك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة ، والياء المصوتة إلى الكسرة كما يقول ابن سينا[52].

وإذن فالصامت هو الحرف الساكن (أي : المستكن بالحبس) المتوقف الصوت الحامل له أو المشكل له بسبب حاجز من الحواجز ، والمصـــوت هـــو الحركة الطويلة المرافقة للصوت . ولذلك اعتبرت المصـــوتات زمانية عارضة للصوت باقية معه زماناً بلا شبهة[53] بينما اعتـــبرت الصـــوامت آنية لأنها اعترضت الصوت وقطعته وأوقفت امتداده . لذا سميت الأولى حروف المد لأنها ممتدة ومستطيلة كما هو الشأن بالنسبة للصوت .

10- الحرف الأصل والحرف الفرع

وحـــروف العربية حروف أصول وحروف فروع . وسميت الحـــروف الفـــروع كذلك " لأنهن الحروف التي ذكرناها لا غيرهن

ولكـــن أزلن عن معتمدهن فتغيرت جروسهن "[54] ومعنى ذلك أن الحروف الفروع هي الحروف الأصول محققة تحقيقات مختلفة أي أنها أخرجت من مخارج أخرى لا غير . فوظيفتها ، إذن ، تبقى هي هي ، وقيمـــتها تبقى هي هي حتى وإن اختلفت نطقاً وإنجازاً لأنها " تكون ممتزجة بالأصلية "[55] أي أن صفات الحروف الفرعية ليست تمييزية مـــن حيـــث الوظيفة والدور الدلالي المنوط بها . لذا يمكن القول مع إخـــوان الصـــفاء بأن الحروف اللفظية (التي هي أصوات محمولة في الهواء مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة) وضعت سمات ليستدل بهـــا على الحروف الفكرية (وهي صورة روحانية من أفكار النفوس مصـــورة في جواهـــرها قبل إخراجها معانيها بالألفاظ)، والحروف الفكـــرية هي الأصل[56]. أو كما قال الفارابي في كتاب الحروف : "وكمـــا أن في المعـــاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدل عليها أعراض تتعاقب عليها ، فكذلك تجعل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأنها أعراض متبدلة على لفظ واحد بعينه ، كل حرف يتبدل لغرض يتبدل "[57].

خاتمة :

هـــذه بعـــض خلاصات هذا البحث الذي ينتظر الإكتمال ومعـــاودة الـــنظر في التراث الصوتي عند العرب في ضوء اللسانيات الحديثة نجملها فيما يلي :

* كل أمة تهتدي إلى الجوهري : وصف الأصوات وصفاً تمايزياً على مســـتوى الإنـــتاج الفيـــزيائي والنطقي وعلى مستوى الإدراك

السـمعي، وهو وصف يقوم على الملاحظة والتجريب والحدس . وهذه كلها أمور لا يجانبها البحث العلمي .

* مسـت الدراسـة الصـوتية القديمة مختلف مظاهر الصوت من منطلقات متنوعة ولغايات مختلفة وبمناهج متباينة .

* الـتمييز بـين النَّفَس والصوت والحرف ، والتمييز بين الحروف الأصول والحروف الفروع .

* لم تغفل الدراسة القديمة اعتبار الصوت عماداً وظيفياً للمعنى .

* الحديـث عـن اقتصادية اللغة بالنظر إلى كل الأنساق السيميائية الأخرى .

الهوامش

1) انظر كانتينو(1960) وهنري فليش (1949 1950) .

2) Cours de Lingusitique Gnrale. P. 25 27.

3) انظر : Sylvain Auroux (1979 ، 1976 ، 1994) .

4) سر الفصاحة . ص 15 .

5) التفسير الكبير . ج1 ، ص 11 .

6) مفتاح السعادة . ج1 ، ص 100 .

7) سر صناعة الإعراب . ج1 ، ص 9 .

8) كتاب الموسيقى الكبير . ص 211 .

19) كتاب النفس . ص 70 .

10) نفسه . ص 71 .

11) نفسه . نفس الصفحة .

12) نفسه . نفس الصفحة .

13) نفسه . ص 81 .

14) الرسائل . ج1 ص 189 .

15) نفسه . ص 189 190 .

16) الرسائل . ج4 ص 95 .

17) سر صناعة الإعراب . ج1 ص 6 .

18) سر الفصاحة ، ص 15 .

19) الرسائل ، ج1 ص 188 189 .

20) سر الفصاحة . ص 6 .

21) أسباب حدوث الحروف . ص 60 .

22) كشاف اصطلاحات الفنون . ج2 ص 644 .

23) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب . ص 29 30 ج1 .

24) سر صناعة الإعراب . ج1 ص 6 .

25) نفسه . ص 14 .

26) كشاف اصطلاحات الفنون . ج2 ص 643 .

27) ملا علي بن سلطان القاري . المنح الفكرية . ص 9 .

28) ابن يعيش . شرح المفصل . ج 9 10 . ص 123 .

29) ابن يالوشة . الفوائد المفهمة . ص 10 .

30) الفارابي . كتاب الحروف ، ص 136 .

31) نفسه . ص 137 .

32) الرسائل . ج3 ص 114 .

33) الرسائل . ج3 ص 130 .

34) الرسائل . ج3 ص 112 .

35) ملا سلطان القاري . المنح الفكرية . ص 10 .

36) نفسه . ص 15 .

37) نفسه . نفس الصفحة .

38) الفوائد المفهمة . ص 13 14 .

39) سر صناعة الإعراب . ج1 ص 6 .

40) نفسه . ص 9 .

41) ابن يالوشة . الفوائد المفهمة ، ص 14 .

42) ملا سلطان . المنح الفكرية . ص 21 .

43) كشاف اصطلاحات الفنون . ج2 ص 644 .

44) انظر سر الفصاحة ص 18 19 وانظر ابن يالوشة ص 17 .

45) كشاف اصطلاحات الفنون . ج2 . ص 646 .

46) أسباب حدوث الحروف . ص 5 .

47) الشعر . ص 41 .

48) مفاتيح الغيب . ج1 ص 29 .

49) نفس المرجع . ص 46 .

50) المغني لعبدالجبار . ج7 ص 46 .

51) مفاتيح الغيب . ج1 . ص 30 .

52) أسباب حدوث الحروف . ص 85 .

53) انظر فخر الدين الرازي . مفاتيح الغيب . ص 54 .

54) ابن يعيش . شرح المفصل . ج 10 ص 126 .

55) ملا سلطان . المنح الفكرية . ص 10 .

56) الرسائل . ج1 ص 393 .

57) كتاب الحروف . ص 140 .

المراجع والمصادر

* باللغة العربية :

- ابـــن سنان الخفاجي ، الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد (1994). *سر الفصاحة*. تحقيق علي فودة . مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الثانية .

- ابـــن جـــني ، أبـــو الفتح عثمان (1985) *سر صناعة الإعراب* . دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي . ج1 . دار القلم . دمشق . سوريا . الطبعة الأولى .

- ابـــن سينا ، الشيخ الرئيس أبو بكر علي الحسين بن عبدالله (1975) *الشفاء . الطبيعيات . 2 . النفس* . تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور بتحقيق الأب د. جورج فنواتي وسعيد زايد . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

- ابـــن سينا ، الشيخ الرئيس أبو بكر علي الحسين بن عبدالله (1983) *أسباب حدوث الحروف* . تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . الطبعة الأولى.

- ابن سينا ، الشيخ الرئيس أبو بكر علي الحسين بن عبدالله (1966) *الشفاء . المنطق . 9. الشعر*. الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة . مصر .

- ابن يالوشة ، محمد بن علي (د.ت). *الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة* . لا ذكر للناشر ولا لمكان النشر .

- ابن يعيش ، موفق الدين بن علي بن يعيش (د.ت) *شرح المفصل* . ج10 . دار صادر .

- إخـــوان الصـــفا (1995) *رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء* . ج3 . إعداد وتحقيق الدكتور عارف تامر . منشورات عويدات . بيروت باريس . الطبعة الأولى .

- الـــتهانوي ، عـــلي بن محمد (1996) . *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم* . ج. 2 . تقديم وإشراف مراجعة رفيق العجم . تحقيق علي دحروج . مكتبة لبنان . بيروت .

- الـــرازي ، محمد الرازي فخر الدين (1993). *التفسير الكبير ومفاتيح الغيب* . المجلد 1 . قدم له فضيلة الشيخ خليل محيي الدين الميس . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .لبنان .

- زادة ، أحمـــد بن مصطفى طاش كبري (1985). *مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم* .دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى .

- عبدالجبار ، القاضي أبو الحسن (1961) . *المغني في أبواب التوحيد والعدل* . ج7 . خلق القرآن. قوم نصه إبراهيم الأبياري . الطبعة الأولى . مطبعة دار الكتب . سلسلة تراثنا .

- الفارابي ، أبو نصر (1967) *كتاب الموسيقى الكبير* . تحقيق غطاس عبدالملك خشبة . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة . سلسلة تراثنا . مصر .

- الفـــارابي ، أبـــو نصر (1970) *كتاب الحروف* . حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي . دار المشرق . بيروت . لبنان .

- القاري ، ملا علي بن سلطان محمد (1984). *المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية* . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر .

* باللغات الأجنبية :

Auroux, Sylvain (1979) ***La Smiotique des Encyclopdistes.*** **Payot. Paris.**

Auroux Sylvain (1986). Histoire des Sciences et Entropies Des Systmes Scientifiques. In : ***Archives et Documents de la Soci*** **. No 7.**

Auroux, Sylvain (1994). ***La Rvolution Technologique de la Grammatisation*** **Margada. Belgique.**

Cantineau, Jean (1960) ***Cours de Phontique Arabe.*** **Klinchsieck. Paris.**

Fleish, Henri (1949 1950). Etude de Phontique Arabe. In: ***Mlanges de lUniversit saint Joseph.*** **Tome 28. Beyrouth. Liban.**

Saussure, F. De (1976. ***Cours de Linguisitique G*** **. Payot. Paris.**